

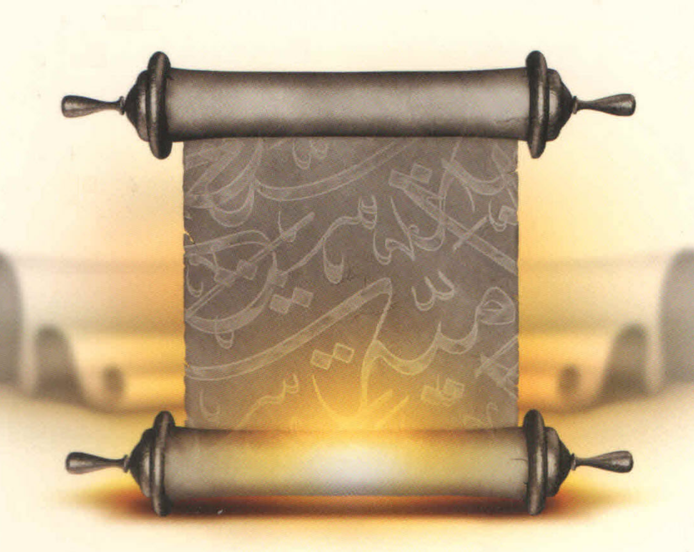


شرح
لامية شيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية

رحمه الله (ت ٧٢٨هـ)

العقيدة





شرحه

سماحة الشيخ العلامة

د. عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمه الله (ت ١٤٣٠هـ)



أعيد طبعه بإشراف مؤسسة الشيخ عبدالله ابن جبرين الخيرية

ح مؤسسة ابن جبرين الخيرية، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
ابن جبرين، عبدالله بن عبدالرحمن
شرح لاميّة شيخ الإسلام ابن تيمية./ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين - ط ٢ - الرياض، ١٤٣٨هـ
٦٨ ص؛ ١٧ x ٢٤ سم
ردمك: ١ - ١٥ - ٨٢٢٤ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١- العقيدة الاسلامية ٢- التوحيد أ- العنوان
ديوي: ٢٤٠ ١٤٣٨/٩٩٧٩

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٩٩٧٩
ردمك: ١ ـ ١٥ ـ ٨٢٢٤ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطبعة الثانية
١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م

المملكة العربية السعودية
ص.ب: ٣٣٥ الرياض ١١٤١١
هاتف: ١٤٢٦١٠٠٠ ١ ٩٦٦+
فاكس: ١٤٢٦٣٧٠٠ ١ ٩٦٦+
جـوال: ٠٠٨٠١٠٠ ٥٦ ٩٦٦+
www.ibn-jebreen.com
info@ibn-jebreen.com
book@ibn-jebreen.com

أسهم في طباعة هذا الكتاب بعض محبي الشيخ رحمه الله
ليُباع بسعرٍ تشجيعي فجزاهم الله خير الجزاء



مؤسسة ابن جبرين الخيرية
Ibn Jebreen Foundation

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فحيث إن مؤسسة ابن جبرين الخيرية بعد وفاة سماحة الشيخ الوالد عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمه الله حملت مهمة نشر تراثه العلمي، وحصلت من ورثته على الحق الحصري لنشر تراثه من كتب وغيرها.

وقد قامت المؤسسة بعدة خطوات في ذلك منذ وفاة الشيخ رحمه الله: حيث عملت على جمع المواد الصوتية والمرئية وتصفيتها وفهرستها وترتيبها وتفريغها، وجمع ما كتبه الشيخ بخط يده أو أملاه من كتب ورسائل وفتاوى: وذلك لإخراجها في عدد من المنتجات الورقية والإلكترونية والصوتية وغيرها.

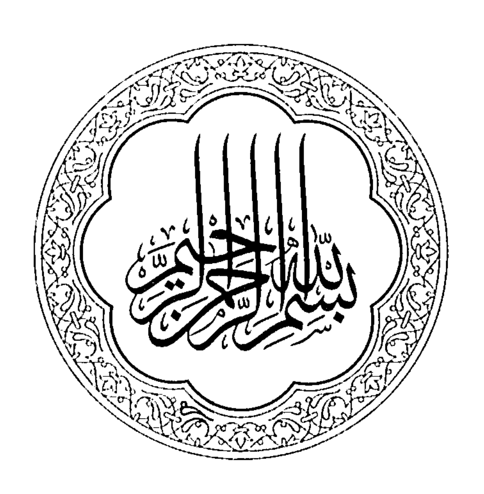
وفي خطوة للتعجيل بنشر بعض كتب الشيخ رحمه الله وقع اختيار المؤسسة على عدد من الكتب التي عمل عليها بعض طلاب العلم من تلاميذ الشيخ رحمه الله وغيرهم، وكان اختيار هذه الكتب لسببين: وهما: أهمية الكتاب، وكون العمل فيه متقنًا في الجملة.

وكان من هذه الكتب كتاب (شرح لاميّة شيخ الإسلام ابن تيمية)، والذي اعتنى به وطبعه سابقًا الدكتور (طارق بن محمد بن عبدالله الخويطر): فندعو الله أن يثيبه ويجزيه خيرًا على ما بذل من جهد.

والمؤسسة إذ تسعى في إعادة طباعته رغبة في نفع القارئ، وإكمالًا لرسالة الشيخ رحمه الله في نشر العلم الشرعي، وأملًا في أن يستمر أجر هذا العلم لمؤلفه ومحققه ومن سعى فيه.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزي خير الجزاء سماحة الشيخ المؤلف ومشايخه رحمهم الله، وأن يسكنهم فسيح جناته، إنه سميع مجيب.

قِسْمُ البَحْثِ العِلْمِيِّ فِي مُؤَسَّسَةِ ابْنِ جِبْرِينَ الخَيْرِيَّةِ


بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم المحقق

الحمد لله القائل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل: **(مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)**(١)، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن أفضل ما صرفت فيه الأوقات، وبذلت فيه الأموال، وتعبت في طلبه الأجسام: العلم الشرعي تعلماً وتعليماً، وما ذاك إلا لأن الله جل وعلا رفع شأن العلماء، فقال جل شأنه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

قال ابن كثير: «أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر»(٢).

ويكفي العلماء فخراً أن الله جل وعلا استشهد بهم على أجل مشهود عليه وهو توحيده، فقال عز من قائل: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

وأخبر النبي ﷺ بفضل العلم والعلماء فقال: **(مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًى لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٥٥٣.

الْكَوَاكِبِ، وإِن الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ،وإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)[١].

والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة.

وإن أمة كثر فيها أولئك العلماء البررة لجديرة أن تصافحها يد السعادة والهناء والعز والإباء. وإذا عرف المسلم فضل العلم والعلماء وعظم منزلتهم وسمو مكانتهم حرص أن يكون قريباً منهم، لينهل من علمهم وأخلاقهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فالعلماء نجوم في السماء مضيئة، متى أفلت ضل السائرون، ونور في الطرقات المظلمة، متى انطفأ تعثر المارون.

ومن هؤلاء العلماء الأبرار والأولياء الأخيار شيخنا الحفي الوفي الزكي عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين حفظه الله ورعاه، وجعل الجنة بعد عمر مديد بتقوى الله مثواه، فهو من العلماء الذين صاروا بحمد الله أئمة، ومناراً للعلم فهماً، وعلماً للحق، ونوراً يستضاء بهم، وهو ممن اتصلت محامدهم، وعلت مبانيهم، وجمت مكارمهم، فجرد في العلم العناية، وأظهر فيه الكفاية، وصرف إليه اهتمامه، وأوضح للناس ما التبس عليهم فهمه واشتبه، ولذا حرص الكثير من طلبة العلم على ملازمته، وحضور دروسه، وسماع محاضراته وكلماته، فاستفادوا من علمه وخلقه الشيء الكثير، فهو أريحي كريم، رزقه الله تعالى منطقاً سهلاً، وأدباً جزلاً، فأكرم به مورد فضل، ما برح منهله العذب كثير الزحام، وكنت ممن تتلمذ عليه وقت الدراسة النظامية في

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣).

المعهد العالي للقضاء، ثم تشرفت بحضور بعض دروسه ومحاضراته وخطبه وسماع فتاويه، فانتفعت بحمد الله من ذلك كثيراً، فمازالت شروحه تسرُّ خواطرنا، وتشنِّف أسماعنا، وقبل ذلك استفدت من سمته وخلقه وسماحته، فهو طاهر الثوب، محمود الفؤاد، طاهر الوداد. ولما كان شيخنا معطاء فياضاً في العلم، لا يطلب منه محاضرة أو كلمة داخل الرياض أو خارجها إلا وافق بنفس رضية، رجوته أن أتشرف بصحبته في بعضها، إذ هو مبارك الصحبة، محمود الشيم، حميد السجايا، فوافق مدعواً له بالتوفيق والسداد، وكنت في طريقنا إلى المحاضرة أعرض عليه ما أشكل علي من كلام بعض أهل العلم، وأحياناً أعرض عليه بعض الأسئلة، فيتفضل بالإجابة والتوضيح والشرح، فيزول ما التبس علي فهمه، ثم عرضت عليه مع طول الطريق في بعض المحاضرات داخل الرياض والسفر في بعضها الآخر أن أقرأ عليه شيئاً من متون العلم ويشرحه، فوافق جزاه الله خير الجزاء، فلله دره ما أرحب صدره، وأكثر صنائعه، وبدأت بالقراءة عليه تارة في السيارة، وتارة في الطائرة، وأحياناً في السكن خارج الرياض، وكان حفظه الله وأدام بركته علينا يشرح ارتجالاً، وبدون سابق تحضير واستعداد، حتى أتممنا بحمد الله وفضله ومنته تسجيل شرح هذه المتون. ثم فرغت هذه الأشرطة وعرضتها على سماحته فكتب لها مقدمات، واقترحت أن تسمى هذه الشروح «سلسلة شروح الطريق» إذ كما ذكرت كان شرحها في الطريق حضراً وسفراً، فوافق نفعنا الله بعلمه على هذا الاسم.

وكان قصدي من هذه التسمية أن يعلم القارئ أن الشيخ متعنا الله بصحته كان يشرح ارتجالاً من ذاكرته ومما حفظه قديماً، ومع ذلك زادت بعض شروح

المتون على مائة صفحة؛ ولو استعد الشيخ للشرح لرأى القارئ أضعاف هذا العدد، ولكن حال دون تحضير الشيخ واستعداده مشاغله الكثيرة، وأعباؤه الجسيمة، ومحاضراته، وندواته، وأحاديثه، وكلماته في المساجد والمناسبات وبعض المجلات، ودوراته العلمية في مناطق كثيرة، وفتح بابه للناس لقضاء حوائجهم، ودروسه اليومية الصباحية والمسائية، فلا عجب أن كان حفظه الله قريع دهره، وكوكب نظرائه، ولو استمع القارئ إلى أشرطة هذه الشروح وهي موجودة لرأى كيف ينقطع شرح الشيخ بضجيج بعض السيارات، وأحياناً بصوت ملاحي الطائرة وهم ينبهون الركاب على بعض الأمور، ومع ذلك كان شيخنا أدام الله نفعه يتوقف أحياناً ويكمل من حيث توقف، ورغم طول مدة التوقف أحياناً إلا أن السامع لا يحس بانقطاع في الشرح، ولا يشعر باختلاف في الصياغة أو تكرار في العبارة ونحو ذلك.

أسأل المولى جل وعلا أن يعلي أبداً شأنه، ويرفع فوق الفرقدين مكانه، إذ بأمثاله أخمد الله شهاب الباطل، وأنار بهم سبيل الحق، كما أسأله سبحانه أن يديم علينا بركته، وأن يمتعنا بسلامته وصحته، وأن يبلغه الرتب الجليلة، والمحال النفيسة، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

طارق بن محمد بن عبد الله الخويطر

تقديم

الحمد لله المتوحد بكمال الجمال، المتصف بصفات الكمال، المنزه عن النقائص والشركاء والأمثال، خلق السموات والأرض ومن فيهن على غير مثال، وخلق الإنسان وسواه وعدله غاية الاعتدال، وفضله بالعقل والفهم ليحصل منه الامتثال، نحمده سبحانه ونشكره على جزيل الإنعام والإفضال، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وعليه الاعتماد والاتكال، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من تكلم وقال، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه إلى يوم المآل، وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد..

فإن الكلام في الاعتقاد ومعرفة العقيدة الصحيحة من أوجب الواجبات، وأولى ما تكون به العناية والاهتمام، ولذلك أكثر العلماء في هذه من الكتابة فيها نظماً ونثراً، وذلك لما انتشرت البدع وتمكن المخالفون في العقيدة، وكثروا وابتلي المسلمون والعلماء بمن أحدث في الدين، وشرع منه ما لم يأذن به الله، واعتمد على الفهم الخاطئ والعقل المنحرف، وسلط التحريف والتأويل البعيد على الأدلة من كتاب الله تعالى، ولو كانت صريحة، وكذب بأحاديث النبي ﷺ التي تتعلق بأسماء الله تعالى وصفاته، وبالأمور الغيبية، مما يكون في البرزخ ويوم القيامة وما بعده، فعند ذلك اهتم علماء الأمة بأمر العقيدة، وألفوا فيها الكتب المختصرة والمطولة، منهم الإمام أحمد بن حنبل، وابنه عبدالله، وأبوبكر الخلال، والبربهاري، وابن أبي عاصم، وابن خزيمة، وابن منده، وعثمان الدارمي، والبخاري، وابن بطة، واللالكائي، والآجري، وابن أبي داود، ونحوهم من المتقدمين.

وفي القرن الرابع وما بعده خفت وضعف الجهر بالعقيدة السلفية، وتمكن الأشاعرة ونحوهم من إظهار عقائدهم، وفيها إنكار صفات الله تعالى الذاتية، كالوجه واليد والعين والقدم، والفعلية كالعلو الاستواء، والمحبة والكراهية، والغضب والرضا، والرحمة والضحك، والعجب ونحوها، ولم يتجرأ بقايا أهل السنة على الجهر بما يعتقدونه في ذلك؛ لكثرة المخالفين والمنكرين، حتى أظهر الله تعالى شيخ الإسلام ابن تيمية في آخر القرن السابع، وأول القرن الثامن، وفتح الله عليه العلوم، وانتشر له ذكر حسن وسمعة طيبة، ومكنه الله، وأحبه العامة، واعترف بفضلة الخاصة، فجهر بالحق، وأعلن القول بما عليه أهل السنة والجماعة، وكتب في ذلك عدة مؤلفات في العقيدة، كالواسطية، والتدمرية، والحموية الكبرى، والصغرى، وغير ذلك من الكتب والرسائل والمسائل.

ومنّ الله تعالى وله الحمد ببقائها أو بقاء الكثير منها، وطبعت ضمن مجموع رسائل شيخ الإسلام الكبير، فرحمه الله وأكرم مثواه.

ووجد له منظومة مختصرة غير مشهورة ولم تطبع ضمن المجموعة، وثبت نسبتها لشيخ الإسلام رحمه الله، وقد شرحها بعض المتأخرين من الحنابلة وتوسع في شرحها.

ثم إن الشيخ الدكتور طارق بن محمد بن عبدالله الخويطر طلب مني أن أشرحها ضمن بعض العقائد المهمة للعلماء، وقد يسر الله تعالى أن شرحتها، ولم أتمكن من مراجعة الكتب والمؤلفات في العقائد، واعتمدت على الله تعالى بما فتح علي من المعلومات السابقة، وآثرت الاختصار حيث توجد الشروح

والمؤلفات المطولة، وقد سجل الشرح الدكتور طارق وفقه الله وسدد خطاه، ثم قام بتفريغها في أوراق وصححها وعلق عليها أرقام الآيات، ومن ثم خرج الأحاديث، وهو ثقة متمكن من المعرفة، وله حرص واهتمام بالعلم والتلقي من العلماء، والإكباب على المؤلفات.

وهذا ما تيسر من شرحها، ولا أزكي نفسي، وأقول هذا جهد المقل فصوابه فتح من الله تعالى وتوفيق منه، والخطأ مني ومن الشيطان، نعوذ بالله من وسوسة الشيطان، والله تعالى أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم..

وكتبه

عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين

عضو إفتاء متقاعد

١٤٢٨/٣/١٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتوحد بكمال الجلال المتصف بصفات الكمال المنزه عن النقائص والشركاء والأمثال خلق السموات والأرض ومن فيهن على غير مثال وخلق الإنسان وسواه وعدله غاية الاعتدال وفضله بالعقل والفهم ليحصل منه الامتثال نحمده سبحانه ونشكره على جزيل الإنعام والإفضال ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وعليه الاعتماد والاتكال ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل من تكلم وقال صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه إلى يوم المآل وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد فإن الكلام في الاعتقاد ومعرفة العقيدة الصحيحة من أوجب الواجبات وأولى ما تكون به العناية والاهتمام ولذلك أكثر العلماء في هذه من الكتابة فيها نظما ونثرا وذلك لما انتشرت البدع وتمكن المخالفون في العقيدة وكثروا وابتلي المسلمون والعلماء بمن أحدث في الدين وشرع منه ما لم يأذن به الله واعتمد على الفهم الخاطئ والعقل المنحرف وسلط التحريف والتأويل البعيد على الأدلة من كتاب الله تعالى ولو كانت صريحة وكذب بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تتعلق بأسماء الله تعالى وصفاته وبالأمور الغيبية مما يكون في البرزخ ويوم القيامة وما بعده فعند ذلك اهتم علماء الأمة بأمر العقيدة وألفوا فيها الكتب المختصرة والمطولة منهم الإمام أحمد بن حنبل وابنه عبد الله وأبو بكر الخلال والبربهاري وابن أبي عاصم وابن خزيمة وابن منده وعثمان الدارمي والبخاري وابن بطة واللالكائي والآجري وابن أبي داود ونحوهم من المتقدمين وفي القرن الرابع وما بعده خفت وضعف الجهر بالعقيدة السلفية وتمكن الأشاعرة ونحوهم من إظهار عقائدهم ومنها إنكار صفات الله تعالى الذاتية كالوجه واليد والعين والقدم والفعلية كالعلو والاستواء والمحبة والكراهية والغضب والرضا والرحمة والضحك والعجب ونحوها ولم يتجرأ بقايا أهل السنة على الجهر بما يعتقدونه في ذلك لكثرة المخالفين والمنكرين حتى أظهر الله تعالى شيخ الإسلام ابن تيمية في آخر القرن السابع وأول القرن الثامن وفتح الله عليه العلوم وانتشر له ذكر حسن وسمعة طيبة ومكنه الله وأحبه العامة واعترف بفضله الخاصة فجهر بالحق وأعلن القول بما عليه أهل السنة والجماعة وكتب في ذلك عدة

مؤلفات في العقيدة كالواسطية والتدمرية والحموية الكبرى والصغرى وغير ذلك من الكتب والرسائل والمسائل، مَنّ الله تعالى وله الحمد ببقائها أو بقاء الكثير منها، وطبعت ضمن مجموع رسائل شيخ الإسلام الكبير رحمه الله وأكرم مثواه، ووجد له منظومة مختصرة غير مشهورة، ولم تطبع ضمن المجموعة، وثبت نسبتها لشيخ الإسلام رحمه الله، وقد شرحها بعض المتأخرين من الحنابلة وتوسع في شرحها، ثم إن الشيخ الدكتور طارق بن محمد بن عبد الله الخويطر طلب مني أن أشرحها ضمن بعض العقائد المهمة للعلماء، وقد يسر الله تعالى أن شرحتها، ولم أتمكن من مراجعة الكتب والمؤلفات في العقائد واعتمدت على الله تعالى بما فتح علي من المعلومات السابقة، وآثرت الاختصار حيث توجد الشروح والمؤلفات المطولة، وقد سجل الشرح الدكتور طارق وفقه الله وسدد خطاه، ثم قام بتفريغها في أوراق وصححها وعلق عليها أرقام الآيات، ومن خرج الأحاديث، وهو ثقة متمكن من المعرفة، وله حرص واهتمام بالعلم والتلقي من العلماء، والإكباب على المؤلفات، وهذا ما تيسر من شرحها، ولا أزكي نفسي وأقول هذا جهد المقل فصوابه فتح من الله تعالى وتوفيق منه، والخطأ مني ومن الشيطان، نعوذ بالله من وساوس الشيطان، والله تعالى أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

١٤٢٨/٢/١٢هـ

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين

عضو الإفتاء متقاعد

متن لامية شيخ الإسلام ابن تيمية

يـا سـائلي عـن مـذهبي وعقيدتـي ... رُزِق الهـدى مـن للهدايـة يـسألُ
اسمـع كـلام محقّـقٍ في قـولـه ... لا ينـثني (عـنه) ولا يتـبدلُ
حـب الـصحابة كلـهم لـي مـذهبٌ ... (ومـودَّة القربـى بهـا أتوسَّـلُ)
ولِكلِّهـم قـدرٌ عـلا وفـضائل ... لكـنَّما الـصدِّيق مـنهم أفـضلُ
وأقـول في القـرآن مـا جـاءت بـه ... آياتُـهُ فهـو (الحكـيم) المنـزلُ
(وأقـول: قـال الله جـل جلالـه ... والمـصطفى الهـادي ولا أتـأولُ)
وجمـيع آيـات الـصفات أمـرها ... حقًّـا كمـا نقـل الطـراز الأولُ
وأرد عُهـدتها إلى نقّالهـا ... وأصـونها عـن كـل مـا يتخـيلُ
وجمـيع آيـات الـصفات أمـرها ... حقًّـا كمـا نقـل الطـراز الأولُ
وأرد عُهـدتها إلى نقّالهـا ... وأصـونها عـن كـل مـا يتخـيلُ
(قـبحٌ) لمـن نـبذ (الكـتاب) وراءه ... وإذا استدل يقـول : قـال الأخطـل
والمؤمـنون يـرون (حقـاً) ربهـم ... وإلى الـسماء بغيـر كَـيْفٍ ينـزل
(وأقـرُّ) بالميـزان والحـوض الـذي ... أرجـو (بأنـي) مـنه ريَّـاً أنهـل
وكـذا الـصراط يمـدّ فـوق جهـنّمٍ ... (فمـسلِّمٌ) نـاجٍ وآخـر مهمـل
والـنار يـصلاها الـشقيُّ بحكمـةٍ ... وكـذا التقيُّ إلى (الجنان) (سيدخلُ)
ولكـلِّ حـيٍّ عاقـلٍ في قـبره ... عمـلٌ يقارنـه هـناك ويـسألُ
هـذا اعـتقاد الـشافعيِّ ومالـكٍ ... و(أبـي) حنـيفة ثـمّ أحمـد يـنقلُ
فـإن اتـبعتَ سـبيلهم فموفّـقٌ ... وإن ابـتدعتَ فمـا علـيك معـوّل



شرح اللامية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

قال الناظم رحمه الله تعالى:

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي رزق الهدى من للهداية يسألُ
اسمع كلام محقّقٍ في قوله لا ينثني عنه ولا يتبدلُ
حب الصحابة كلهم لي مذهب ومودّة القربى بها أتوسّلُ
ولكلّهم قدرٌ علا وفضائل لكنّما الصدّيق منهم أفضلُ

الشرح:

هذه عقيدة منسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وقد اختلف في نسبتها، فوجدت عند أجدادنا مخطوطة، مكتوب عليها هذه الأبيات، تنسب لشيخ الإسلام ابن تيمية، والخط قديم، يمكن أن يكون له أكثر من مائة سنة، وكذلك قد شرحها أحد علماء الحنابلة، من العلماء المتأخرين، وهو المرداوي، وشرحه مطبوع، وقد ذكرها أيضاً الشيخ محمد بن مانع في كتابه الذي جعله في العقيدة، وسماه القول السديد، ولما ذكرها أتبعها بترجمة لشيخ الإسلام، مما يدل على أنه جزم بأنها لشيخ الإسلام، ولم يذكرها الشيخ محمد بن قاسم في مجموع الفتاوى، ويمكن أنه شكّ في نسبتها له، ولكن شهرتها تدل على أنها من نظم شيخ الإسلام، وكأنه توقف، وقال: لأنه ـ رحمه الله ـ لم يكن مشهوراً بقول الشعر، ولا معروفاً بسرعة إنشاء الشعر، فيمكن أن يكون هذا قصده،

ولكن نقول: إنه ـ رحمه الله ـ يقول الشعر، ودليل ذلك: قصة ذلك الذمي، أو المنافق الذي أورد عليه أبيات شعرٍ، يقول فيها:

أيا علماء الدين ذميُّ دينكم ... تحيَّر دلُّوه على خير ملَّة

الذي يسأل عن القدر، فإنه اشتغل ـ رحمه الله ـ بالرد عليه، ويحسبون أنه يرد عليه نثراً، وإذا هو يرد عليه نظماً، في مجلسٍ واحدٍ نظم تلك المنظومة، التي زادت على مائةٍ وعشرين بيتاً، والتي أولها:

سؤالك يا هذا سؤال معاند ... مخاصمِ ربِّ العرشِ باري البريَّة

فدل ذلك: على أنه يتمكن من قول الشعر.

ولا شك أن المعاني التي في هذه القصيدة سهلة النظم؛ لأنها ظاهرة؛ ولأن كلامه حولها كثير في رسائله وكتبه.

يقول في أولها:

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي ... رُزِق الهدى من للهداية يسألُ

افتتح هذه الأبيات بإجابةٍ وكأن هناك من قدَّم له سؤالاً، وطلب منه أن يجيب عنه، هكذا كما جاءه رجل وطلب منه أن يكتب له عقيدة، وهو ذلك الرجل الواسطي، وكتب له الواسطية، وكم ممن يأتيه ويطلب منه أن يكتب مقالة، ولا يقنع إلاَّ بكتابته، وهكذا يخاطب هذا السائل الذي سأل عن المذهب، ويراد به: المذهب العقدي، وليس المذهب الفرعي، فإنه ـ رحمه الله ـ لم يكن يتقيد بمذهبٍ من المذاهب، وإن كان في الأصل أنه حنبلي هو وآباؤه وأسرته، وأكثر كلامه يتعلق بالمذهب الحنبلي، ولكن لم يكن مقيداً به، بل له اختيارات قد خالف فيها المذاهب كثيراً، مما يدل على أنه ـ رحمه الله ـ يأخذ ما دلَّ عليه الدليل، وإنما موضوع هذه الأبيات في العقيدة التي يعقد عليها



القلب، أي: أريد أن أجيبك عمّا أعتقده من الأمور العقدية، التي يحصل الخلاف فيها مع المبتدعة، ثم دعا لذلك السائل ولغيره:

رزق الهدى من للهداية يسأل

أي: رزقك الله الهدى أنت وكل من يحرص على الهداية أن يهديه الله، وأن يدلّهم على طريق الهداية وطريق السداد.

يقول بعد ذلك:

اسمع كلام محقّقٍ في قوله لا ينثني عنه ولا يتبدّلُ

بمعنى أنه: محقق في هذه المقالات، أي أنني أقوله عن تحقيقٍ، وأقوله عن يقينٍ، وعن عقيدةٍ راسخة ثابتةٍ، متأكد مما أقوله، وأثبت عليه ولا أتغير.

لا ينثني عنه ولا يتبدل

أي: لا أتغير عن هذا المعتقد، ولا أترك ما دل عليه، ولا أتبدل، ولا أتغير؛ لأنه ما قالها إلاّ عن دليلٍ قويٍّ، ليس عن ظنٍّ ولا تخرُّص بل عن دليلٍ سمعيٍّ يقينيٍّ، كذلك أيضاً قالها عن أدلةٍ اجتمع عليها العقل والنقل، فلا يتبدل عنه ولا يتغير، فهكذا أثبتت هذه العقيدة، وما ذاك إلا أنه أكثر من الكتابة في أمور العقيدة، وتوسع فيها في كثيرٍ من مؤلفاته رحمه الله تعالى.

فهكذا بدأها بما يتعلق بالصحابة رضوان الله عليهم، ولعل السبب في ذلك: أنه ابتلي في زمانه بتمكن الرافضة، الذين جعلوا جلَّ ما يعتقدونه لعن الصحابة، وتكفيرهم، وتضليلهم، فلمَّا كان كذلك اهتمَّ بذكر ما يتعلق بالصحابة رضوان الله عليهم؛ ليردَّ على هؤلاء الرافضة الذين يسبون الصحابة، ويبالغون في مسبتهم، ويكثرون من عيبهم وثلبهم، والقدح فيهم؛

فلذلك أكّد محبة الصحابة رضوان الله عليهم كلّهم، فيقول: إن محبة الصحابة كلهم مذهب لي، أقوله عن عقيدة، وأؤكده، وأستدل عليه، وما ذاك إلاّ أنّ الله تعالى أثنى عليهم - على المهاجرين والأنصار - ومدحهم في آيات عديدة، مما يدل على فضلهم وسبقهم.

وصحابة النبي ﷺ هم الذين اجتمعوا به بعد إسلامهم، وأدركوا حياته ورأوه وهم مؤمنون مصدقون به، وقد اشتهر أنهم جاهدوا معه، وأنفقوا أموالهم في سبيل الله، ونصرة لرسوله ﷺ، وقد مدحهم الله تعالى في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩]، وهذا الوصف يعم جميع المهاجرين الذين ذكرهم الله تعالى بقوله: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨]، فإنهم تركوا بلادهم وعشائرهم وأموالهم، حباً لله ورسوله ﷺ، وتصديقاً بالرسالة، مع ما لقوه قبل الهجرة من الأذى والعذاب في الله تعالى.

ثم تكبدوا الصعوبات في سفر الهجرة، وركبوا الأخطار، ثم إن العرب جميعاً رمتهم بالعداوة، وقاطعتهم، فتعرضوا لحرب العرب وغيرهم، وكان الحامل على ذلك هو قوة الإيمان، والجزم بصحة ما هم عليه، والثقة بنصر الله تعالى الذي ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ



لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥]، وقد أخبرهم تعالى قبل ذلك بأنهم سوف يبتلون ويختبرون، فقال عز وجل: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، ولهذا لما تسلط عليهم الأحزاب، وضيقوا عليهم، ثبتوا وقالوا: ﴿ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وأخبر الله تعالى بأنه قد رضي عنهم في قوله عز وجل: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ومن رضي الله عنه فقد غفر له، ورضي عمله، فلا يسخط بعد ذلك عليهم، بل يوفقهم ويحميهم، ويتوفاهم على الإسلام.

وورد في السنة ما يدل على فضلهم على من بعدهم في قوله ﷺ: **(خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)**[١] الحديث، ويريد بالقرن: أهله، ففضل أصحابه على من بعدهم، وكذا نهى عن سبهم بقوله ﷺ: **(لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه)**[٢]،

---

(١) البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٥٣٣).

(٢) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).



وروى مسلم[١] من حديث أبي بردة عن أبيه قال: (صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: (ما زلتم ههنا)، قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: (أحسنتم أو أصبتم)، قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: **(النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما تُوعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصاحبي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)**، أي من الفتن والخلاف وكثرة البدع.

وقد شهد النبي ﷺ للعشرة بالجنة، وهم: أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وأبوعبيدة، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن ابن عوف، وسعيد بن زيد[٢]، كما ثبتت الشهادة لجماعة آخرين بالجنة كثابت ابن قيس[٣]، وبلال[٤]، وعمار[٥]، وسلمان[٦]، وقال ﷺ: **(لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها)**[٧]، وقال ﷺ: **(لعل الله**

---

(١) برقم (٢٥٣١).

(٢) أحمد ١٨٨/١، وأبوداود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٨)، وقال هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (١٢٠).

(٣) البخاري (٤٨٤٦)، ومسلم (١١٩).

(٤) البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨).

(٥) المستدرك ٣٨٨/٣.

(٦) ورد فيه وفي علي وعمار رضي الله عنهم حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة علي وعمار وسلمان)**، الترمذي (٣٧٩٧).

(٧) مسلم (٢٤٩٦).

اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[١]، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، وأهل البيعة ألف وأربعمائة وزيادة.

ثم اتفق السلف على أن أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة، وهم: أبوبكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم جميعاً، وجمهور أهل السنة على أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على تقديم أبي بكر ﷺ ومبايعته خليفة بعد النبي ﷺ، وذلك لما عرفوا من سابقته وصحبته وأعماله، ثم إن النبي ﷺ قدمه ليصلي بالناس في أيام مرضه، فصلى بهم تلك الأيام[٢]، فبايعوه وقالوا: (رضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا)، فهو ليس أكثرهم مالاً، ولا أقواهم بأساً، ولا أعزهم عشيرة، فلم يبايعوه خوفاً من سطوته وقهره وسلطته، وإنما عرفوا فضله وسابقته، وما تميز به، وتذكروا الإشارات الدالة على أنه أولى بالخلافة مثل قوله ﷺ: **(اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر)**[٣]، وقوله ﷺ: **(... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)**[٤]، وثبت في الصحيحين عن أبي سعيد ﷺ أنه ﷺ خطب في آخر حياته قال: **(إن أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبوبكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت**

---

(١) البخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٢) البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨).

(٣) أحمد ٣٨٢/٥، والترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧)، والحاكم ٧٥/٣.

(٤) أحمد ١٢٦/٤، وأبوداود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٨)، وابن ماجه (٤٢)، والدارمي ٤٤/١.

أبابكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، ولا يبقين في المسجد باب إلا سدإلاّ باب أبي بكر)[١]، وفضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية الصحابة رضوان الله عليهم كثيرة مشهورة، ومن أراد الإطلاع فليراجع كتاب الفضائل من كتب السنة.

وفي هذه الأحاديث وغيرها يؤكد النبي ﷺ وجوب احترام صحابته رضوان الله عليهم ومحبتهم، وينهى عن مسبتهم، وعن تنقصهم، وأخبر بفضلهم؛ لأجل سبقهم، فيجب على المسلمين أن يحترموهم، وأن يعرفوا لهم مكانتهم، وأن يترضوا عنهم ويمدحوهم بما مدحهم الله تعالى به، ولا يدخلُ فيهم المنافقون، كعبدالله بن أُبيٍّ ونحوه، فإنّ هؤلاء قد ورد في القرآن الإنكار عليهم، والنهي عن الصلاة عليهم، أما بقيتهم وهم الذين هاجروا مع النبي ﷺ وجاهدوا معه فإن لهم مكانتهم، ولهم فضلهم، وعددهم كثير، فإن الذين خرجوا معه لغزوة تبوك يزيدون على الأربعين ألفاً، أو يقربون منها، وكلهم صحابة إلا عدداً يسيراً من المنافقين، الذين نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٥٦][٢]، وكذلك الذين حجوا معه، قد يبلغون مائةً وأربعين ألفاً، وكلهم من الصحابة رضي الله عنهم، ولما كان كذلك اهتم العلماء بهم، وترجموا لكل من بلغهم اسمه والكلام عنه، وأوسع من ترجم لهم: الحافظ ابن حجر في كتابه الذي سماه: "الإصابة في تمييز الصحابة" فإنه ذكر فيه كل من وصل إليه الخبر بأنه صحابي، وإن كان بعضهم قد اختلف في صحبته، مما يدلّ على كثرتهم، ويدل على ميزتهم التي تميزوا بها، وهي: ميزة الصحبة.

---

(١) البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢).

(٢) ابن جرير في تفسيره ١١/٥٤٣، وابن أبي حاتم برقم (١٠٠٤٧).

واتفق العلماء من أهل الحديث على أنهم كلّهم عدول، أي: لا يسأل ـ إذا ثبتت الصحبة ـ عن عدالة فلان أو فلان، ولا عبرة بمن طعن فيهم؛ كالرافضة؛ وسبب طعن الرافضة: أنهم غلوا في علي، فلما كانوا في العراق يحبُّون علياً؛ لسيرته الحسنه فيهم، وسمعوا أمراء بني أمية يلعنونه على المنابر، أخذوا يجتمعون ويتذاكرون فضائله، وأخذوا يكذبون، يدخلُ معهم من يكذب كذباً ظاهراً في مدحه والثناء عليه، وذكر مآثر له، فتعجب تلاميذهم وقالوا: إذا كانت هذه الفضائل كلها متصفاً بها علي فكيف مع ذلك لم يقدَّم في الخلافة، وكيف صار هو الخليفة الرابع، ألا يدل ذلك على أن هذه الفضائل ليست صحيحة؟ فعند ذلك لم يجدوا بداً من أن يكذبوا ليرضوا أتباعهم هؤلاء، بدعوى أن الصحابة ظلموه، وأنهم حاولوا قتله، وأنهم ليسوا أهلاً، وأنه هو الوصي، وأن الصحابة جميعهم كتموا الوصية له بأن يكون هو الخليفة، فصاروا يسبُّون الصحابة بهذا السبب؛ أنهم ظلموا علياً، وأنهم كتموا الوصية التي هي له بالولاية، فكثرت تلك الأكاذيب التي يرزونها في ثلب الصحابة وفي عيب الخلفاء قبله، وفي ذمِّهم، فلما كثرت صارت عقيدة عندهم، وهي بغض الصحابة وعيبهم، وبالأخص الخلفاء الثلاثة، وبقية الصحابة الذين كان هذا معتقدهم.

ثم إن أولئك الرافضة يغلون في علي وولديه، أي اثنين من أولاده ـ وزوجته، ويسمونهم: أهل البيت، ويدَّعون أننا نبغضهم، وأن من أحب الصحابة فقد أبغض أهل البيت، ويقولون: لا ولاء إلاّ ببراء، أي: لا تكون هناك موالاة إلاّ إذا كان معها براءة ممن خالفهم، هكذا معتقدهم؛ فلأجل ذلك صرَّح شيخ الإسلام بمودة ذوي القربى بقوله:



ومـــودة القربـــى بهـــا أتوســـل

وذوو القربى، أقارب النبي ﷺ، وهم: عليٌّ وأولاده كلُّهم، بما فيهم محمد ابن الحنفية، وجميع أولاده، وكذلك العباس ﷺ عم النبي ﷺ، فإن عم الرجل صنو أبيه، وكذلك أولاد العباس، وجعفر ﷺ وأولاده، وجميع أولاد عبدالمطلب وذرية عبدالمطلب المسلمون، وجميع من كان من بني هاشم، فإن لهم مودة القربى، والذين كان النبي ﷺ يمنعهم من الزكاة، ويعطيهم من سهم ذوي القربى؛ لأن الله ذكرهم في القرآن: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ... ﴾ [الأنفال: ٤١]، فمن كان من بني هاشم فإنه من ذوي القربى، فنحن نودهم، خلافاً لما يرمينا به الرافضة، ويدَّعون أننا نكرههم ونبغضهم، وهذا من البهتان.

وذكر أنه يتوسل بهذه المودة بمعنى: أنه يجعل هذه المحبة للصحابة؛ ومن جملتهم: ذوو القربى وسيلة يرجو بها أن يكون من أهل الجنة، يتوسل بها إلى الله؛ كأنه يقول: يا رب أسألك الجنة، أتوسل إليك بعبادتي لك، وبمحبتي لك، وبمحبتي لصحابة نبيك، وبمحبتي لقرابة نبيك، أجعلها لك وسيلة أتوسل بها حتى تدخلني الجنة.

وقوله:

ولكُلّهـــم قـــدرٌ عـــلا وفـــضائل

أي: لجميع الصحابة مكانةٌ عند الله، ولهم فضائل؛ فلأجل ذلك اهتم العلماء بفضائلهم رضوان الله عليهم، فالبخاري جعل في كتابه: "كتاب فضائل الصحابة"، وبدأه بفضائل الخلفاء الأربعة على الترتيب، وهكذا أيضاً مسلم في: "كتاب فضائل الصحابة"، ذكر لكل واحدٍ فضائل من

الأحاديث الثابتة الصحيحة، وهكذا الترمذي سماها: "مناقب"، وهي بمعنى الفضائل، وأورد ذلك الإمام أحمد في كتابه المطبوع "فضائل الصحابة"، فلكلٍّ الصحابة قدرٌ رفيع، ولهم أيضاً فضائل، ولهم مكانةٌ عند الله تعالى، وعند عباد الله يعترفون بها، ويعرفون لهم سبقهم وفضلهم الذي تميزوا به.

ثم قال:

لكـــنّما الـــصديق مـــنهم أفـــضل

الصديق: الذي هو أبوبكر ﷺ فإنه أفضلهم؛ وذلك لأنه أسلم قديماً، فهو أول من أسلم من الرجال؛ فلأجل ذلك حاز هذه الفضيلة، وهو الذي رافق النبي ﷺ في الهجرة، وهو رفيقه في الغار، والذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠]، وكذلك؛ لما هاجر بقي على مودته ومحبته، وهو الذي نزل فيه قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ... ﴾ [الزمر: ٣٣]، أي: صدق بما كان يعتقده وهو ما جاء عن الله؛ ولأجل ذلك سمي بالصدّيق، لمبالغته بالصدق، وبالتصديق ﷺ، كذلك أيضاً: هو الذي استخلفه النبي ﷺ في صلاته لما مرض قال ﷺ: **(مروا أبابكر فليصل بالناس)**[1]، فكان يصلي بهم، فلما توفي النبي ﷺ رضوا

(١) البخاري (٦٦٤).

بأن يولُّوه وقالوا: (رضينا لدنيانا من رضيه ﷺ لديننا)، فهكذا استخلفوه، وتمت لـه الخلافة، وفتح الله تعالى على يديه، ونصره على الذين ارتدوا في مدة وجيزة، كل ذلك بفضل ما كان عليه من الفطانة والمعرفة والذكاء، ولـه فضائل كثيرة. ويعتقد المسلمون أنه الخليفة بعد النبي ﷺ، وقد بينوا ووضحوا الأسباب التي صار بها خليفةً، والذي استحق أن تكون الخلافة لـه، ومن ذلك قولـه ﷺ: **(اقتدوا باللذَين من بعدي: أبي بكر وعمر)**[1]، وكذلك بقية الخصال التي تدل على فضله وميزته، فهو أفضل الصحابة بعد النبي ﷺ، يدين لـه أهل السنة بالفضل، ويدينون لـه بأنه الخليفة الراشد وأول الخلفاء رضي الله عنهم.

---

(١) أحمد ٣٨٢/٥، والترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧)، والحاكم ٧٥/٣.



قال الناظم رحمه الله:

وأقول في القرآن ما جاءت به آياته فهو الحكيم المنزلُ
وأقول: قال الله جَلَّ جَلالُه والمصطفى الهادي ولا أتأوَّلُ
وجميع آيات الصفات أمرّها حقًّا كما نقل الطراز الأولُ
وأرد عُهدتها إلى نقّالها وأصونُها عن كل ما يتخيلُ

الشرح:

قوله:

وأقول في القرآن ما جاءت به آياته فهو الحكيم المنزلُ

وفي بعض النسخ:

فهو الكريم المنزل

وفي بعضها:

فهو القديم المنزل

ورواية القديم لم يصححها الكثير من العلماء.

ذكر أن القرآن حكيمٌ كما وصفه الله بقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ٢]، وبقوله عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ...﴾ [هود: ١]، وبقوله جل وعلا: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، الحكيم: هو الذي يشتمل على الحكمة. وقيل: هو الذي كله حكمٌ وفوائد. وقيل: هو المحكم، يعني: المتقن، الذي ليس فيه خلل، وليس فيه عيب، وهذا اعتقاد أهل السنة، فقد جاءت الآيات بأنه كلام الله، وبأنه محكمٌ آياته، وبأنه متقن، لا يتطرق إليه خلل ولا عيب، ولا يحدث له شيء من النقص ونحو ذلك، قال الله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، أخبر بأنه من عند الله، وأن بعضه يصدِّق بعضاً، وأنه ليس فيه خللٌ ولا عيبٌ ولا نقصٌ؛ بل الأصل أنه كلّه قد أحكمت آياته ثم فصلت كما أخبر الله بذلك، والمراد: هذا الكتاب الكريم، الكتاب العظيم، الذي أنزله الله على قلب نبينا ﷺ فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، وهو كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، بل يتكلم الله به، وقد وردت أدلة كثيرة تدل على أن الله تعالى متكلّم، ويتكلم إذا شاء، واتفق أهل السنة: على أن كلام الله قديم النوع، متجدد الآحاد، بمعنى أنه: يتكلم إذا شاء، وأن كلامه ليس له أولٌ ولا آخر، ولذلك أخبر بأنه لا ينتهي ولا ينفد، بقوله عز وجل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ...﴾ [لقمان: ٢٧]، أي: لو أن جميع شجر الأرض من أولها إلى آخر الدنيا صارت أقلاماً وبحار الدنيا ومعها سبعة أبحر أمثالها كانت مداداً، أي حبراً يكتب به، ثم كتب بتلك الأقلام وتلك البحار لنفدت البحار، ولتكسرت الأقلام، قبل أن ينفد كلام الله، وقد أخبر الله بأن القرآن كلامه، فقال جل وعلا: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ...﴾ [البقرة: ٧٥]، الذي يسمعونه هو هذا القرآن الذي أنزله على قلب نبيه ﷺ، وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ



ٱللَّهِ...﴾[التوبة: ٦]، هذا الذي يسمع هي هذه الآيات، أي: هذه السورة وهذه الآيات التي اشتمل عليها هذا القرآن، وكذلك قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ...﴾[الفتح: ١٥]، قال الله يعني: تكلم بما شاء، وتكلم بهذا القرآن، والإشارة إلى قوله تعالى عن المنافقين: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا...﴾[التوبة: ٨٣]، يعني: أنه لا يريد خروجهم، ولذلك قال: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا...﴾[التوبة: ٤٧]، فهكذا أخبر: أنهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه، فدل على أن المراد: هذا القرآن، وأنه منزل من ربك، قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[الزمر: ١]، وقال: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[غافر: ٢]، وقال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[فصلت: ٢]، وقال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت: ٤٢]، والتنزيل: هو الذي ينزل من الأعلى، أي: ينزل من فوق، منزَّل من ربك، أي: نزل من الله تعالى، وفيه إشارة إلى أن الربَّ موصوف بالعلو، وأن هذا القرآن منزَّل من ربك، هذا معنى أنه الحكيم المنزل.

ثم يقول رحمه الله:

وأقول قال الله جَلَّ جلالُه ... والمصطفى الهادي ولا أتأوّل

أي: أنني أقرأ كلام الله، وأُمِرُّه، وأقول: قال الله، ولا أتأول، ولا أتوقف.

ففي هذا دليل على أنه يجزم بأن القرآن من الله، وأنه قول الله، أي: هذا كلام الله، إذا قرأ قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ...﴾[البقرة: ٢١٠]، يقول ذلك بجراءة، ويقرأ قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ...﴾[الفجر: ٢٢]، ويقرأ قول

الله جل وعلا: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ... ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويقرأ قول الله تعالى: ﴿ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ... ﴾ [الأنعام: ١١٤]، ويقرأ قول الله جلا وعلا: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ... ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقوله: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ... ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤]، وقوله عز من قائل: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١]، وقوله جل وعلا: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل: ٢٠]، ونحو ذلك من الآيات الي فيها صفة العلو وإثباتها لله ﷻ، فهكذا تكون جراءة أهل السنة، أنه لا يتوقف، بل يقول: قال الله، ويقرأ الآيات، وكذلك أيضاً أحاديث المصطفى، أي: قال النبي ﷺ، يجزم بالأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ؛ كقوله ﷺ: **(ينزل ربنا إلى السماء الدنيا..)**[1]، وكذلك قوله ﷺ: **(ضحك ربك من قنوط عباده..)**[2]، وقوله: **(يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر..)**[3]، وكذلك قوله ﷺ: **(يمين الله ملأى...)**[4]، وقوله ﷺ: **(والخير كله في يديك، والشر ليس إليك..)**[5]، وقوله ﷺ: **(وما بين القوم وبين أن يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن..)**[6]، وقوله ﷺ لما نظر إلى القمر

---

(١) البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) أحمد ٤/١١، وابن ماجه (١٨١).

(٣) البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠).

(٤) البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).

(٥) مسلم (٧٧١).

(٦) البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (٨٠).

ليلة أربع عشرة: (إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تَضَامُّون في رؤيته)[١]، كل هذه أدلة ذكرها الله تعالى، وأحاديث قالها النبي ﷺ، وغيرها كثير، فيقول: إنني لا أتوقف، أجزم وأقول: قال الله ﷻ، وأقول: قال المصطفى الهادي، الذي هو محمد ﷺ، ولا أتأول، أي: لا أُأوِّل الآيات، ولا أتأول الأحاديث، ولا أصرفها عن ظاهرها، ولا أتكلم بتحريفها سواءً كان تحريفاً للمعاني أو تحريفاً للألفاظ، فتحريف الألفاظ؛ كالذين يقولون: استوى على العرش أي: استولى، فإن هذا تحريف، للّفظ، زيادة لام لا أصل لها، فهي مثل زيادة اليهود نوناً لَّما قيل لهم: قولوا: حطّة، قالوا: حنطة، فهذه النون زائدة زادوها، كذلك الجهمية الذين زادوا هذه اللام في استوى، ولهذا يقول ابن القيم في النونيَّة:

نـــون الـــيهود ولام جهمـــيٍّ همـــا ... في وحـــي ربِّ العـــرش زائـــدتان

وكذلك كان المعتزلة ينكرون كلام الله، جاء رجل منهم إلى أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة، وقال: أريد أن تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، بنصب اسم الله ليكون موسى ؑ هو المتكلم لا الله، فأراد أن يحرف هذه الكلمة، ويغير لفظها، فقال له أبوعمرو: هبْ أني قرأت هذه الآية كذا فكيف تصنع بقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، هل تستطيع أن تحرفها؟ فبهت المعتزلي[٢]، فعرفنا بذلك أن الله تعالى قد أخبر بأن له هذه الصفات، فنُمِرُّها ولا نتأولها، ولا نحرفها، فمن التأويل المعنوي من يقول:

---

(١) البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٧.

إن العرش هو الملك، فينفي أنه السرير العظيم الذي ورد ما يدل على عظمته، كذلك الذين يقولون: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، إن الكرسي هو العلم، هذا مع أن المعتزلة ينكرون وصف الله تعالى بالعلم؛ لأنهم لا يثبتون إلاَّ الصفات السلبية، ولا يقرون بالصفات الثبوتية.

ومن التأويل: قولهم: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، أي: قدرته أو عطاؤه، وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، أي: بِقُدْرَتي، فأوَّلوا اليد بأنها القدرة، أو بأنها النعمة، وهذا من التحريف، يدخلون في تحريف الذين قال الله فيهم: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦، المائدة: ١٣]، وقال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١]، فوقع هؤلاء المعتزلة والجهمية فيما وقع فيه أولئك الذين ردُّوا آيات الله تعالى، وحرفوا كلامه وكلام نبيه ﷺ؛ لأنه لم يكن موافقاً لما يقولونه، ولما يذهبون إليه، فقالوا: لا بد أننا نتأولها حتى تَرِدَ علينا، وحتى لا تكون حجة علينا، ويلقّبون كل من يثبتها بأنهم حشوية، أو مشبهة أو نحو ذلك، ولا شك أن هذا من الذين يعيبون أهل الدين، وأهل الإسلام، وأهل السنة والجماعة، فلا يلتفت إلى عيبهم، وإلى قدحهم، وتلقيبهم بالألقاب المؤثرة، ولا يلتفت أيضاً إلى تحريفهم، وتأويلهم الذي لا دليل عليه، ولا إلى أقوالهم التي ابتكروها، واصطلاحاتهم التي ركّبوها، وتقاسيمهم، تقسيمهم الموجود إلى جوهر وعرَض، ونفيهم أن يكون الله تعالى جوهراً أو عرضاً ونحو ذلك من تأويلاتهم.

ثم يقول رحمه الله:

وجميع آيات الصفات أمرُّها حقاً كما نقل الطراز الأول



القرآن الكريم فيه آيات وصف الله تعالى بها نفسه، أخبر بها عن صفات له، هذه الصفات ثابتة كما أثبتها الله بالقرآن، فأهل السنة يُمِرُّونها كما جاءت يقولون: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف، ولا شك أنهم يعتقدون مدلولها، فيعتقدون في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ...﴾ [البقرة: ٢١٠]، أن الله تعالى يأتي كما يشاء، ولكن كيفية الإتيان لا يتأولونه، وكذلك قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، أي: يعتقدون أن الله يجيء يوم القيامة؛ لفصل القضاء، ولكن لا يكّيفون ذلك المجيء، وهكذا قوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ...﴾ [النساء: ١٥٨]، يثبتون أن الله تعلى رفع عيسى ﷺ إليه، ولكن لا يكيِّفون هذا الرفع، ولا الجهة التي رفع إليها. وكذلك قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ...﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله عز وجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، يثبتون الاستواء، وأنه معلوم والكيف مجهول، يعني أن له كيفية وهذه الكيفية مجهولة، ولا يدرون ما كيفيتها، ويقولون هذا في جميع الصفات، فيقولون في قوله جل شأنه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، المجيء معلوم، والكيف مجهول، وفي قوله جل وعلا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ...﴾ [المائدة: ٦٤]، اليدان والبسط معلوم، والكيف مجهول، وفي قول الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ...﴾ [الملك: ١٦]، أخبر الله تعالى أنه في السماء، فإما أن يراد بالسماء العلو، أي أنه في جهة العلو، وإما أن تكون بمعنى على، أي: على السماء، مثل قوله جل وعلا: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ [التوبة: ٢]، أي: على الأرض، ولكن لا يؤلون هذا العلو الذي هو كونه في السماء، وكذلك قول الله تعالى - في آيات العلو-: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:



١]، وقوله جل شأنه: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]، وقوله جل وعز: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، هذه الآيات في إثبات صفة العلو. ولما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، قال النبي ﷺ: (اجعلوها في ركوعكم)، ولما نزل قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، قال ﷺ: (اجعلوها في سجودكم)(١).

يثبتون لله هذه الصفة التي هي صفة العلو كما شاء الله، فيثبتون العلو ويتوقفون عن الكيفية، فهذه الآيات التي يُمِرُّونها حقاً كما نقل الطراز الأول، أي: كما نقله السلف الصالح، والصدر الأول الذين هم: الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون، والأئمة الذين يقتدى بهم، ويهتدى بهداهم، ويسار على نهجهم، كالأئمة الأربعة، وكذلك: أهل الصحيحين، وأهل السنن، وأئمة الدنيا في زمانهم؛ كالليْث بن سعد عالم مصر، والأوزاعي عالم الشام، والثوري عالم العراق، وابن عيينة عالم مكة، ونحوهم من العلماء في زمانهم، فإنهم من الطراز الأول، أي: من العلماء الأُول، وقد نقل ذلك عنهم الأوزاعي ـ رحمه الله ـ يقول: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله على عرشه، بائن من خلقه ونؤمن بما جاءت به الآيات من الصفات»، فهذا الإمام الأوزاعي، إمام أهل الشام، المتوفى سنة ١٥٧هـ، نقل إجماع أهل زمانه على هذا القول في إمرار آيات الصفات التي تتعلق بصفة العلو، وصفة الرؤية،

---

(١) أخرجه أحمد ٤/١٥٥، وأبوداود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧).

وصفة الغضب والرضا، وصفة المحبة، والكراهية ونحو ذلك من الصفات الفعلية، والصفات الذاتية؛ كقوله جل وعلا: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠]، وقوله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ...﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله جل شأنه: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ...﴾ [الأنعام: ٥٢]، وقوله جل وعز: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ...﴾ [الإنسان: ٩]، وكذلك صفة اليد واليمين؛ كقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ...﴾ [الزمر: ٦٧]، وكذلك الأحاديث؛ كقوله ﷺ: **(والذي نفسي بيده...)**[1]، وقوله: **(يمين الله ملأى...)**[2]، ونحو ذلك من آيات الصفات وأحاديث الصفات نُمِرها كما كان السلف يفعلون ذلك، يقولون: أمِرّوها كما جاءت، كما نقل الطراز الأول، أي: كما نقله العلماء الأولون، فإنهم نقلوا ما سمعوا، وقبلنا نقلهم، فنحن نقبل ما نقلوه في الصفات، كما نقبل الأحاديث التي نقلوها في الأحكام، وفي الحلال والحرام، كل ذلك مما نقبله مما جاء عن طريقهم، فكما أننا نتقبل نقلهم في الأحكام، وفي الوعد والوعيد، ولا نرد منه شيئاً، فإن من ردَّ آيات وأحاديث الصفات يطالب بالفرق بينها وبين أحاديث الأحكام وآيات الأحكام، ويقال لهم: كيف تردون آيات الصفات وأحاديثها وتقبلون آيات الحلال والحرام، يلزمكم أن تردوا الجميع أو تقبلوا الجميع.

---

(١) البخاري (٥٠١٣).

(٢) سبق تخريجه.

ثم يقول:

وأرد عُهـــــدتها إلى نقالهـــــا وأصـــونها عـــن كـــل مـــا يتخـــيل

العُهدة على الذين نقلوها وهم أئمة علماء، يقتدى بهم، لهم مكانة في العلم، وهم حفاظ الأمة يعترف بحفظهم كل من جاء بعدهم، ويعرفون مكانتهم وفضلهم، ويعترفون بحفظهم وبإتقانهم، وإذا كان كذلك فإننا نقول: هؤلاء هم الذين نقلوا ما جاء في هذه الآيات، فالعُهدة عليهم - يعني المسؤولية - فيها نجعلها على هؤلاء الذين نقلت بواسطتهم، الذين تحملوها ونقلوها، نرد عُهدتها إلى نقالها إذا كان فيها خطأً، فالعُهدة عليهم، وإذا كان فيها زيادة أو نقص فالخطأ عليهم، فلا نتحمل شيئاً من هذه الأخطاء، هكذا نرد عُهدتها إلى نُقالها.

يقول:

وأصـــونها عـــن كـــل مـــا يتخـــيل

أصونها: يعني أحفظها عن كل ما يتخيل، وأرد عنها كل شيء يتخيَّل أو يتأوَّل أو يحرَّف، وهذا معنى قولهم: إننا نقبل آيات الصفات وأحاديثها من غير تحريفٍ ولا تأويل، ولا تكييف ولا تعطيل، ولا تشبيهٍ، ولا تبديل، بل نقبلها كما جاءت، ونصونها عن كل ما يتأوَّله المتأوِّلون أو يتخيَّله المتخيِّلون؛ لأن صفات الله لا يمكن إدراكها؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي: لا يصلون إلى شيء من علمه إلاّ ما أطلعهم عليه، وكذلك قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، أي: أنهم لا يقدرون على أن يحيطوا بشيء من علمه، إلاّ بما أطلعهم عليه، وأوقفهم عليه، وإلاّ فإن عقولهم قاصرة عن أن تصل إلى شيء من العلوم الغيبية



الأخروية، ولهذا يعجزون عن إدراك معاني بعض المخلوقات التي يشاهدونها، فإنهم يعرفون أن الله خلق الإنسان، وجعله من جسد وروح، وعجزوا عن معرفة كيفية هذه الروح، التي يتركب منها خلق الإنسان، وكذلك أيضاً يقرّون بأن الله خلق الجن، وأن الجن مخلوقون من أرواح فقط، أرواح مستغنيةٌ عن أجساد تقوم بها، فهذه الأرواح عجزوا عن أن يصلوا إلى كيفيتها.

فنقول: إذا عجزتم عن تكييف هذه المخلوقات التي هي أقرب شيء إليكم مثل روح الإنسان، وروح الجن، وروح الشيطان، وأرواح الملائكة، فإنكم بلا شك أولى بأن تعجزوا عن تكييف صفات الله تعالى، وتكييف ذاته، فعليكم أن تتوقفوا كما توقف من كان قبلكم، فلا تتكلفوا شيئاً ما كُلِّفتم به، فصونوا آيات الله وأحاديث نبيه ﷺ عن كل شيءٍ تتخيلونه، ولذلك يقول بعض العلماء: كل ما ارتكز في الذهن أو تخيَّله العقل من أنه صفة لله فإن عليكم ألاّ تعتقدوه؛ لأنه لا يمكن أن تصل عقول البشر إلى إدراك أو تخيل صفات الله تعالى، بل الأمر أبعد من ذلك، فهكذا يجب على المسلمين أن يؤمنوا بآيات الصفات التي نقلها العلماء وتكلموا عليها، وكذلك أيضاً يقرُّون بأحاديث النبي ﷺ، ولا يردُّون منها شيئاً، ويقولون: نؤمن بها كما جاءت، ونُمِرُّها على ما هي عليه، ولا نتأولها ولا نحرفها؛ لنكون بذلك متبعين غير مبتدعين.



قال الناظم رحمه الله تعالى :

قبحٌ لمن نبذ الكتاب وراءه ... وإذا استدل يقول : قال الأخطل

والمؤمنون يرون حقّاً ربهم ... وإلى السماء بغير كيفٍ ينزل

وأقرُّ بالميزان والحوض الذي ... أرجو بأنّي منه رِيّاً أنهل

وكذا الصراط يُمدّ فوق جهنّمٍ ... فمسلّمٌ ناجٍ وآخر مهمل

الشرح :

قبحٌ لمن نبذ الكتاب وراءه ... وإذا استدل يقول : قال الأخطل

يشير بهذا البيت إلى أولئك المعتزلة، والأشعرية، الذين يلغون دلالة الكتاب والسنة، مع صراحة الأدلّة والآيات، ويستبدلون بذلك قول شاعرٍ نصراني يقال له الأخطل، ولو كان عربياً لكنه متمسكٌ بنصرانيته، فيجعلون كلام هذا الأخطل دليلاً لهم، وينبذون دلالة الآيات الصريحة، ودلالة الأحاديث الصحيحة، وهكذا كانت حالة هؤلاء الأشعرية، والماتريدية، والكلاّبية، والمعتزلة، ونحوهم؛ فمن ذلك استدلالهم ببيتٍ ينسب إلى الأخطل، ويدّعون أنه دليلٌ لهم على نفي الاستواء، الذي هو العلوّ ، يقولون : إنّ هذا الشاعر العربي يقول:

قد استوى بشرٌ على العراق ... من غير سيفٍ أو دمٍ مهراق

فمعنى استوى عندهم: استولى، فيدعون أن الاستواء بمعنى الاستيلاء ، وعدلوا عن أدلّة الكتاب والسنة ، فإن الاستواء بمعنى العلو في القرآن، في قوله تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ...﴾ [الزخرف : من الآية١٣]، أي : لترتفعوا على ظهور هذه الجمال، وكقوله جلا وعلا : ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ..﴾[هود: من الآية٤٤]،

يعني: استقرّتْ وارتفعت على الجودي، يعني: سفينة نوح عليه السلام، وكقول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ...﴾ [الفتح: من الآية ٢٩]، يعني: ارتفع على سوقه، الذي كان له أصوله، فهكذا قوله عز وجل: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ...﴾ [الفرقان: من الآية٥٩]، يعني: علا وارتفع واستقر، هذه دلالة الكتاب والسنة، فأما هذا البيت فإنه لم يثبت، ولا دلالة فيه أيضاً، فإنّ الاستواء فيه قد يكون بمعنى العلو، أي استقرَّ وعلا على العراق، وارتفع عليه، فهكذا لا يكون مستَدلاً لهم، ولكنهم يتشبثون بأدنى شيءٍ، هذا بالنسبة إلى الاستواء، وقد دلّت الأدلة الكثيرة على أن الاستواء بمعنى الارتفاع، وعلى أنّ الله ـ تعالى ـ عليٌّ على خلقه، وأنه مرتفعٌ فوق عباده، وكذلك ـ أيضاً ـ من جملة استدلالهم بكلام الأخطل قولهم: إن الأخطل يقول:

إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللّسان على الفؤاد دليلا

فتركوا دلالة الكتاب والسنّة الصريحة، وتعلقوا ببيتٍ ينسبونه إلى الأخطل، على أن كلام الله هو المعنى الذي يقوم بالذات، وأنكروا أن الله يتكلم بحرف وصوت.

وقد ردّ عليهم شيخ الإسلام استدلالهم بهذا؛ لأنهم يدّعون أنّ كلام الله ـ تعالى ـ هو المعاني دون الألفاظ، وأنّ هذه الألفاظ والمعاني القرآنية ليست عين كلام الله، وإنما كلام الله المعنى، فعقيدتهم أنّ الكلام هو المعنى دون اللّفظ، أما أهل السنة فاتفقوا على أنّ كلام الله هذا القرآن، وأنه كلام الله حروفه ومعانيه، وليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، ويستدلّون



بالأحاديث الصريحة التي فيها أنّ الساكت لا ينسب إليه كلام، مثل قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ)[1].

فبين أن الكلام هو الذي يسمع، وهو الذي يكون فيه حركة اللّسان والشفتين، وأن حديث النفس لا يسمى كلاماً، وهذا ردٌّ لقول هؤلاء الذين يدّعون أنّ هذا القرآن ليس كلام الله، وإنما هو عبارةٌ أو حكاية، ويستدلّون بهذا البيت، ولو استدلّ مستدلٌ بحديثٍ في الصحيحين لردّوه، وقالوا هذا خبر آحاد، وأخبار الآحاد لا تفيد إلاّ الظنّ، ومع ذلك يستدلون بهذا البيت، وهذا البيت لا أصلَ له، والظاهر أنه مكذوبٌ، وأنه مما قيل على لسان هذا الشاعر، الذي هو نصراني؛ ولهذا ما وجد في ديوانه، ورواه بعضهم «إنّ البيان» وليس الكلام، ولكن حرّفوه، جعلوه «إنّ الكلام لفي الفؤاد» وعلى تقدير أنه ثابتٌ عن الأخطل فلا يقبل كلام الأخطل؛ لأنه باقٍ على نصرانيته، والنصارى قد ضلوا في صفة الكلام، وادعوا أنّ عيسى عليه السلام عين الكلمة، فتكلّم بذلك على عقيدته في النصرانية، وقد كان متمسكاً بنصرانيته، ولمّا وفد الشعراء - وهو منهم - على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ردّه، واستدلَّ بأبيات له في الكفر، وهي التي يقول فيها:

ولست بصائمٍ رمضان طوعاً ولست بآكلٍ لحم الأضاحي
ولستُ بسائقٍ عيساً بكوراً إلى بطحاء مكّة للنجاح
ولست بزائرٍ بيتاً بعيداً بمكة أبتغي فيه صلاحي

---

(١) البخاري (٢٥٢٨)، ومسلم (١٢٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولستُ بقائمٍ كالعَير يدعو قبيل الصبح حيَّ على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً وأسجد عند منبلج الصباح

فكيف مع ذلك يقبل قوله وهو يفتخر بنصرانيته؟ وهو عدوٌّ للإسلام والمسلمين، وبكل حالٍ فإنّ كلام الله واضحٌ أنه قول، ولهذا قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: من الآية ١٥]، والقول لا يكون بالضمير، ولا يكون بحديث النفس، ولا يكون في القلب، إنما الذي يكون في القلب وسوسةٌ، وحديث نفسٍ ونحو ذلك، فعلى هذا قال شيخ الإسلام: **قبحٌ لمن نبذ الكتاب وراءه ....**

يعني دلالة الكتاب، ودلالة الأحاديث، **وإذا استدلّ يقول قال الأخطل.**

وهكذا ـ أيضاً ـ يقول ابن القيم في النونية:

ودليلهم في ذاك بيتٌ قاله فيما يقال الأخطل النصراني

أي: أنه لم يثبت، وإنما يقال إنه قاله الأخطل النصراني، هكذا دليلهم، وهكذا استدلالهم.

نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم نبذَ المسافر فضلة الآكال

ثمّ يقول الشيخ رحمه الله:

والمؤمنون يرون حقّاً ربهم...

هذا ـ أيضاً ـ من عقيدة أهل السنّة، أنّ المؤمنين في الجنّة يرون الله ـ تعالى ـ بأبصارهم رؤيةً حقيقية، ليست خيالية، دلّت على ذلك الأدلّة الصريحة من القرآن ومن السنّة، وقد ذكر الله عن نبيّه وكليمه موسى عليه السلام أنه سأل الرؤية بقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: من الآية ١٤٣]، وأقرّه الله ولم ينكر



عليه، ولا يقال : إنّ علماء المعتزلة أعلم بالله وبما يجب عليه، وبما يصح له من موسى خليل الله تعالى، ولم ينكر عليه ربه هذا السؤال، ولم يعاتبه، بل قال: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ يعني: في الدنيا؛ وذلك لأنّ البشر في هذه الدنيا لا يتحمّلون؛ لضعف أجسامهم؛ ولهذا قال: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾، واستقرار الجبل ممكن، وقد علّق الله رؤيته على استقرار الجبل، وكذلك تجلّى ربه للجبل، وإذا تجلّى للجبل جاز أن يتجلّى لعباده في الجنّة.

ومن الأدلّة قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢-٢٣]، أي: تنظر إلى ربها في الجنّة، هذه وجوه أهل الإيمان، فالمؤمنون يرون حقاً ربهم، وأمّا الكفار فلا يرونه، بل يحجبون، قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥]، فلمّا حجب الكفّار في حالة الغضب دلَّ على أن المؤمنين لا يحجبون، بل يرون ربهم كما يشاء الله، وكلّما شاء، كذلك - أيضاً - من الأدلّة قوله تعالى: ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾[المطففين: ٢٣].

وأمّا الأحاديث فإنها متواترة، وأصرحها حديث جريرٍ البجلي رضي الله عنه وفيه قول النبي ﷺ: **(إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ثُمَّ قَرَأَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) «قَالَ إِسْمَاعِيلُ افْعَلُوا لاَ تَفُوتَنَّكُمْ»**[١].

---

(١) تقدم تخريجه.

وكذلك حديث أبي هريرة ﷺ: أنّ ناساً قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟) قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟) قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ...)[1]. وحديث أبي سعيد الخدري ﷺ أيضاً مخرج في الصحيحين نظيره.

والأحاديث في ذلك كثيرة، وقد سردها ابن القيم في كتابه "حادي الأرواح"، وذكر طرقها، وذكر ـ أيضاً ـ الآيات، ودلالاتها، كل ذلك ليستدلَّ على أنّ رؤية الله في الجنّة هي أعظم نعيمٍ لأهل الجنّة عندما يتجلّى لهم ربهم يرونه كما يشاء، وقد كبرت هذه الأدلّة وهذه الأحاديث على المعتزلة، الذين أنكروا رؤية الله، وكذلك على الأشاعرة الذين يقرّون بالرؤية، ولكن يجعلونها رؤيةً قلبية؛ وذلك لأنهم ينكرون علوّ الله تعالى، وينكرون أنه فوق عباده وفوق العرش؛ ولأجل ذلك أنكروا الرؤية البصرية، وجعلوها رؤيةً قلبية، وأما المؤمنون فإنهم يعتقدون أنهم يرون ربهم حقّاً يوم القيامة رؤيةً حقيقية.

ثم يقول ـ رحمه الله تعالى ـ:

وإلى السماء بغير كيفٍ ينزلُ

أي: ويؤمن أهل السنّة والجماعة بالنزول، إن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، وصحّت به الأحاديث الكثيرة، أنه سبحانه

---

(١) البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

ينزل كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا حيث يبقى ثلث الليل الأخير، ويتودّد إلى عباده، ويقول: (**من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**)[1]، حتى يطلع الفجر، فهذا حديثٌ متواتر، رواه نحو عشرةٍ من الصحابة، فأحاديث النزول والمجيء هي من عقيدة المسلمين، وكذلك قد دلّ عليها من القرآن آيات الإتيان، وآيات المجيء، كقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة: الآية ٢١٠]، وقوله عز وجل: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٨]، وقوله جل وعلا: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: الآية ٢٢]، فكلّ هذه أدلّةٌ واضحةٌ على أن الله ـ تعالى ـ يجيء يوم القيامة لفصل القضاء، وقد ثقلت هذه الآيات وهذه الأحاديث على المعتزلة، وادّعوا أنّ فيها تقديراً، يقولون: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: وجاء أمر ربك، وكذلك يقولون: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أمره، لا أنه يأتي إتياناً حقيقياً كما هو ظاهر النصوص؛ وذلك لأنهم اعتقدوا أنَّ الله ـ تعالى ـ ليس في جهةٍ، وخيّل إليهم أنّ الله بذاته في كل مكانٍ ـ تعالى الله ـ فثقل عليهم وصف الإتيان والنزول، والرؤية، وما أشبه ذلك.

ثمّ يقول رحمه الله:

وأقـرّ بالميـزان والحـوض الـذي ... أرجـو بأنـي مـنه ريّـاً أنهـلُ

الميزان: هو الذي توزن فيه الأعمال، وقد ثبت ذكره في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٨]،

---

(١) تقدم تخريجه وهو في الصحيحين.

وفي قوله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧]. وفي قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦-٧]، وكذلك في الأحاديث الكثيرة، قيل: إن الإنسان نفسه يوضع في الميزان فيثقل إذا كان مؤمناً، ويخف إذا كان كافراً، ولذلك قال جل وعلا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥]، وقيل: إن المراد وزن صحف الأعمال، أي أن الصحف هي التي توزن، كما ذكر ذلك في حديث البطاقة، التي كتبت فيها الشهادتان، فإنها صريحةٌ بأن البطاقة هي التي توزن، وأنها ترجح بالسجلاّت الكثيرة[1]، وقيل: إن الأعمال - ولو كانت أعراضاً - تجسّد، وتوزن، ولا مانع من أن العمل - ولو كان عرضاً - يوزن، والصحف توزن، والعامل نفسه يوزن، وقد أنكر ذلك المعتزلة ونحوهم، وادّعوا أن الميزان هو العدل، وقولهم هذا مخالف لهذه الآيات، ومخالف للأحاديث الصحيحة الصريحة، فلا ينبغي أن يشتغل بمثل هذه الأقوال الشاذّة. كذلك الحوض المورود للنبيّ ﷺ ورد فيه أحاديث كثيرة بلغت حدّ التواتر، زادت على رواية أربعين صحابياً، رووا ذكر الحوض عن النبي ﷺ، ورواها أئمة السنّة وعلماء الأمّة في مؤلّفاتهم بألفاظ متعدّدة، وطرق كثيرة، وروايات مجموعها يقطع به صحته، ولا يُلتفت إلى من أنكره.

---

(١) أحمد ٢/٢١٣، والترمذي (٢٦٤١)، وابن ماجه (٤٣٠٠).

وقد ورد أيضاً دليل ذلك في القرآن في سورة الكوثر. وقد فسَّر النبي ﷺ الكوثر في هذا الحديث بأنه نهر من الجنّة، أعطاه الله نبيه ﷺ، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن، وهو أحلى من العسل[1]، وكذلك أخبر بأنه أعطي هذا الحوض في الدنيا، وهو جزء أو فرع أو امتدادٌ للكوثر الذي أُعطيه في الجنّة.

الحوض معروف عند العرب؛ فهو الإناء الذي يُتخذ من الجلود، تُسقى به الإبلُ أو الغنم ونحوها، عادة يحملونه على ظهور الإبل، فإذا وردوا أو أقبلوا على المياه أرسلوا وارداً يصلح لهم الوِرد، ويسمّون ذلك الوارد الذي يتقدّمهم الفَرَط، فيقولون: أنت فرطنا يا فلان، يعني: أنك الذي تتقدّم أمامنا إلى ذلك المورد، وتصلح لنا الورد، فإذا وردوا بدوابهم، وإذا هو قد ملأ الحوض ماءً، وقد ركّب البكرة التي يستقى عليها، وقد انتزع من الماء بقدره، فيبدؤون في سقي دوابهم إلى أن تنهل وتروى، فتشرب من ذلك الحوض.

والحوض الذي أعطاه الله نبينا ﷺ في الآخرة، هو نهرٌ ليس مصنوعاً من جلود ولا من أوان؛ الله أعلم بما صنع منه، ولكنه ممتد، وقد روي: **(أنه مسيرة شهر في شهر)**[2]، يعني: طوله مسيرة شهر، وعرضه مسيرة شهر؛ بالسير المعروف في ذلك الزمان، وقُدّر في بعض الروايات: **(من صنعاء إلى أيلة)**[3] فصنعاء: عاصمة اليمن، وأيلة: مدينة في الشام؛ يعني: طوله من ذلك المكان

---

(١) مسلم (٢٤٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) البخاري (٦٢٠٨)، ومسلم (٢٢٩٢) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) البخاري (٦٢٠٩) عن أنس بن مالك ﷺ.

إلى ذلك المكان، وفي بعض الروايات: **(أنه من صنعاء إلى عدن)**[١]، وكلاهما معروفتان في اليمن، ولعلّ ذلك باختلاف جهاته، وبكلّ حال فإنّه على هذا حوضٌ واسعٌ طويلٌ ممتلئٌ ماءً.

وورد في هذه الروايات أنه يشخُب فيه ميزابان من الجنّة، أو من الكوثر، وأنّ فيه آنية، والآنية: الكؤوس التي يُشرب بها، آنيته عدد نجوم السماء[٢]، يعني: في الكثرة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، يرد عليه المؤمنون، ويذاد عنه المنافقون، وأخبر ﷺ بأنه يرد عليه أناس فيعرفهم، فإذا أقبلوا إليه وعرفهم احتجزوا، وحيل بينه وبينهم، كما ثبت ذلك في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(ليردنّ عليّ الحوضَ رجالٌ ممن صاحبني، حتى إذا رأيتهم رفعوا إليّ اختلجوا**[٣] **دوني فلأقولنّ: أي رب، أصيحابي أصيحابي، فليُقالنّ لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)**[٤].

وقوله أصيحابي: يعني مِمّن أسلموا معي وعرفتهم، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، يعني: من المرتدين، أو من المنافقين، أو من المتسمّين بالإسلام وليسوا بمسلمين، أما المؤمن حقاً الذي ثبت على الإيمان سواءً من الصحابة أو مِمّن بعد الصحابة؛ فإنّه يرد على ذلك الحوض، ويشرب منه شربةً هنيئة مريئةً لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة، وذلك لما جعل الله في ذلك الماء من

---

(١) مسلم (٢٤٨).
(٢) البخاري (٦٢٠٨) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، و(٦٢٠٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٣) أي اقتطعوا دوني.
(٤) مسلم (٢٣٠٤).



الشفاء، ولما جعل فيه من اللذّة، إذا كان ماؤه أشد بياضاً من اللبن؛ وأحلى من العسل الذي هو غايةٌ في الحلاوة وفي اللّذّة، وأن الشربة منه لا يعادلها شيءٌ، فيؤمن العبد المؤمن بذلك.

ورد في بعض الروايات أنّ لكلّ نبي حوضاً، ولكن نبيَّنا ﷺ أكثرهم وارداً، يعني: أوسعهم حوضاً وأكثرهم وارداً، وأمته المتّبعون له أكثر من غيرهم من الأمم، وذلك لأن الذين صدقوه واتبعوه وحقّقوا اتّباعه وصاروا من أتباعه عددهم لا يحصيه إلا الله سبحانه وتعالى.

والصحيح أنّ الحوض في عَرَصات القيامة قبل أن يعبروا الصراط، لكن ورد في بعض الروايات أنّهم إذا نزلوا وهم ظِماءٌ فيردون عليه، كورود الناهلة على حوضها، ولعلّه يمتدّ أيضاً إلى طرف الصراط، فلا مانع أن يكون معظمه في عرصات القيامة، وقبل أن يركبوا الصراط ثم بعدما ينزلون من الصراط يجدون له طرفاً، ثم بعد ذلك يشربون منه، ويدخلون الجنّة كما أخبر الله تعالى.

فيؤمن العباد بذلك، وإن لم تدركه عقولهم، ويؤمنون بما أخبر به نبيهم ﷺ، ولا شكَ أن هذا من كرامة هذا النبيّ عليه الصلاة والسلام، ومعلوم أنّه يقف على الحوض، وينظر من يرد عليه، وكذلك يكون معه ملائكة يأذنون في ورود البعض ويذودون الذين ليسوا من الأمّة حقاً، فالذي لا يرد يبقى على ظمئه، وعلى جهده، وعلى ما يلاقيه من الشقاوة والتعب. والذين يردون يطمئنّون للشرب، ويلتذّون بذلك، ويعرفون بذلك أنهم من أهل السعادة وأهل الخير، ولا شك أيضاً أنّ أهله الذين يردون عليه هم أهل السنة والجماعة، أهل

الاتباع لا أهل اللإبتداع، ولأجل ذلك يرد المبتدعة المرتدّون الذين أحدثوا، فيقال: **(إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)**[١].

وملخص صفة الحوض المورود من حيث طوله وعرضه، أنه مربع وله أربع زوايا، كل زاوية مسيرة شهر، ماؤه أشدُ بياضاً من اللبن، الذي هو في غاية البياض، وأحلى من العسل الذي هو أشد الأشياء حلاوةً، وأطيبُ ريحاً من المسلك، له رائحةٌ عبقةٌ طيبةٌ، وذكر أيضاً أنّه ينبت في جوانبه وفي رضراضه من النّبات الذي يكون مبهجاً للنفوس؛ من اللؤلؤ والمرجان وأنواع الجواهر، منَّ الله به عليهم، والله تعالى على كل شيء قدير، وأنه يردهُ المؤمنون ويُذادُ عنه الكافرون والمكذّبون والمنافقون، وأنّه يكون قبل الميزان وقبل الصراط؛ وذلك لأن الناس عندما يُبعثون يبعثون من قبورهم حفاةً عراةً غُرْلاً بُهماً، ويكون عطشهم في تلك الحالة شديدٌ، فهم بحاجةٍ إلى ما يدفعون به ذلك العطش، فيردون لينهلوا من الحوض، حتى إذا رووا بعد ذلك اطمأنوا، عند ذلك يفصل بينهم، فتنصب الموازين، وينصب الصراط، وتوزن الأعمال، وتتطاير الصحف، ويُعرف بذلك أهل السعادة من أهل الشقاوة، حتى يفصل الله تعالى فيما بينهم، والذين أنكروا هذه الأمور الواردة خليق بهم وحريٌ بهم أن يحال بينهم وبين وروده، كما أنّهم كذّبوه، وكما أنّ الذين كذّبوا برؤية الله تعالى خليق بهم أن يكونوا عن ربهم محجوبين. كالذين أنكروا الأمور التي أخبر الله بها، وأخبر بها رسوله ﷺ، لا شكّ أنّهم

---

(١) تقدم تخريجه.

مكذّبون لم يصدّقوا التصديق اللازم لهم، ولم يأتوا بما يجب عليهم، إنّما صدّقوا بما يناسب أهواءهم، والواجب على المسلم أن يصدّق بكل ما جاء من الله تعالى، سواءٌ أدركه عقله أو لم يدركه، فيكون بذلك حقاً من الذين يؤمنون بالغيب، ومن الذين يصدّقون رسله، ومن الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

ثم ذكر بعد ذلك الصراط بقوله:

وكذا الصراطُ يمدُّ فوق جهنم   فمسلَّمٌ ناجٍ وآخرُ مهمل

هذا الصراط - أيضاً - نؤمن به، وهو منصوبٌ على متن جهنم، يمر الناس عليه بأعمالهم.

وقد روى البيهقي بسنده عن مسروق، عن عبدالله قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة»، إلى أن قال: «فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، قال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر ذلك من يعطى نوره على إبهام قدمه يضيءُ مرة ويطفأ مرة، إذا أضاء قدَّم قدَمَه، وإذا طُفئَ قام، قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض مزلة، فيقال: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمرُّ كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمرُّ كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمرُّ كشد الرَّحْل، ويرُمل رملاً، فيمرُّون على قدر أعمالهم، حتى يمرُّ الذين نورهُ على إبهام قدمه، تُجرَّ يدٌ، وتعلَقُ يدٌ، وتُجرُّ رجلٌ، وتعلقُ رجلٌ، وتصيبُ جوانبه النار، قال:

فيخلصون، فإذا خَلَصوا قالوا: الحمد لله الذين نجانا مِنْكِ، بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحداً)[١]. الحديث.

والمرور عليه هو الورود الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، فورودها هو مرورهم فوقها على هذا الصراط، ولكن لا تضرّ المؤمنين فإذا مرَّ بها المؤمن تقول النار: (جُزْ يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبي)[٢] وأمّا الكفّار فإنهم يقعون فيها والعياذ بالله، ويعذبون بحسب ذنوبهم، منهم من يبقى فيها إذا سقط، ومنهم من يعذب فيها ثمّ يخرج منها، فهكذا يصدق أهل الإيمان بهذا الصراط الذي هو ممدودٌ على متن جهنّم، فعلى كلّ حالٍ نؤمن بذلك، ونحرص على أن نعمل الأعمال الصالحة، التي تكون سببا في نجاتنا من العذاب، وسبباً في عدم سقوطنا من هذا الصراط، وسبباً في ثقل أعمالنا في الميزان، وسبباً في ورودنا لهذا الحوض المورود، وسبباً في رؤيتنا لربنا في الآخرة، كما وعد بذلك عباده المؤمنين.

---

(١) رواه البيهقي عن الحاكم وهو في المستدرك ٢/٣٧٦ـ٣٧٧، عن عبدالله بن مسعود ﷺ موقوفاً، ورواه الحاكم في المستدرك ٤/٥٩٠، والطبراني في المعجم الكبير برقم (٩٧٦٣) عن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً.

(٢) أخرجه أبونعيم في حلية الأولياء ٩/٣٢٩، والطبراني في المعجم الكبير ٢٢/٢٥٨، رقم (٦٦٨)، وابن عدي في الكامل ٦/٣٩٤، والبيهقي في شعب الإيمان ١/٣٤٠.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

والنار يصلاها الشقيُّ بحكمةٍ ... وكذا التقيُّ إلى الجنان سيدخلُ
ولكلِّ حيٍّ عاقلٍ في قبره ... عملٌ يقارنه هناك ويسألُ
هذا اعتقاد الشافعيِّ ومالكٍ ... وأبي حنيفة ثمَّ أحمد ينقلُ
فإن اتبعتَ سبيلهم فموفّقٌ ... وإن ابتدعتَ فما عليك معوّل

الشرح:

والنار يصلاها الشقيُّ بحكمةٍ ... وكذا التقيُّ إلى الجنان سيدخلُ

ذكر - رحمه الله - أنّ الله تعالى جعل في الآخرة دارين: الجنة، والنار، وقد أخبر الله - تعالى - بأنّ النار أعدّت للكافرين، بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٤]، فأخبر بأنّ وقودها الناس والحجارة، وهذا دليلٌ على شدّة اتّقادها، وأنها تشتعل بالحجارة، وكذلك تشتعل بمن يدخل فيها من الأشقياء، من الجنّ والإنس، أنهم يصلونها، وقد ذكر الله - تعالى - كثيراً من صفاتها، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: من ٥ـ ٩]، هذا وصفٌ لها أنها موقدة، وجاء في الحديث: **(أوقد على النار ألف سنةٍ حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة)**[1]،

---

(١) الترمذي (٢٥٩١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٩٩)، وفي الموطأ (١٨٠٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أترونها حمراء كناركم هذه لهي أسود من القار)، وسنده صحيح، وهذا الأثر مما لا مجال فيه للرأي فهو في حكم المرفوع.



وقد ثبت أنه ﷺ ذكر نار الآخرة فقال: (ناركم هذه ـ التي يوقد عليها ابن آدم ـ جزءٌ من سبعين جزءاً من حر جهنم) قالوا: يا رسول الله: إن كانت لكافية، قال: (فإنها فضلت عليها بتسعةٍ وستين جزءاً كلها مثل حَرِّها)[1] هكذا العذاب في هذه النار التي ذكر الله أنها تلظّى: ﴿لَا يَصْلَنٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: ١٥ ـ ١٦]، فالذين يصلونها هم الذين كتب الله لهم الشقاوة، وهم الذين عملوا السيئات وخرجوا عن الطاعات، وكذّبوا بالآخرة ولقاء الآخرة، وعبدوا غير الله، وأشركوا بالله، وابتدعوا في دين الله ما ليس منه، وقد وصفهم الله ـ تعالى ـ في عدّة آياتٍ تدلّ على أنهم استحقوا العذاب فمن هذه الصفات: ﴿لَا يَصْلَنٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، [الليل: ١٥ ـ ١٦] هذا من أوصافهم، التكذيب والتولّي، يعني: البعد عن الصواب، والبعد عن الخير، فهكذا أخبر الله أنّه يصلاها الشقيُّ بحكمة، ثم قال الناظم:

وكـذا التقـيُّ إلى الجـنان سـيدخلُ ...

التقيُّ: هو الذي اتقى الله وخافه، وعبده، وأطاعه، واتبع رضاه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧ـ٢١]، فمن اتقى الله ـ تعالى ـ وتوقى عذابه، وابتعد عن مساخطه، وأطاعه، وعمل بشريعته، واتبع ما جاء عنه فإنه من أهل الجنان، والجنان عظيمة وكثيرة، وقد ذكر الله في سورة الرحمن أربع جنان، في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝ فَبِأَىِّ

---

(١) مسلم (٢٨٤٣).

ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦ ـ ٥٢]، هذه من صفات هاتين الجنتين، ثمّ قال جل وعلا: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ثمّ قال: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ ثمّ قال: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٦ ـ ٧٠]، هذه الجنان التي أعدّها الله ـ تعالى ـ لأهل التقى ولأهل الإيمان في الدار الآخرة، يدخلونها وينعّمون فيها، يجدون فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: من الآية ٧١].

كل هذا وغيره من وصف هذه الجنّة، وكذا قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

ثمّ يقول ـ رحمه الله ـ:

ولكلّ حيٍّ عاقلٍ في قبره عملٌ يقارنه هناك ويسألُ

هذا في البرزخ، وفي القبر، يعني: بعد الموت في الدنيا، فإنّ كلَّ عاقل وكلَّ مكلّف يقارنه عمله في قبره، كما ورد ذلك في قول النبيّ ﷺ إنه يأتيه في قبره رجلٌ حسن الوجه حسن الثياب طيّب الريح، يبشّره ويقول: (**أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ...**) وجاء في الحديث: أنه يفتح له بابٌ إلى الجنّة، ويأتيه من روحها وريحانها، هذا بالنسبة للمؤمن، وأمّا الكافر فيأتيه رجلٌ كريه المنظر، كريه الرائحة، فيقول:

(أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك السيئ، فيقول: ربِّ لا تقم الساعة...)[(١)].

هذا خبرٌ من النبيِّ ﷺ عن البرزخ وما يكون فيه، وقد أمرنا أن نتعوذ من عذاب القبر ومن عذاب النار في صلاتنا، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)**[(٢)].

فأمرنا بأن نستعيذ من عذاب القبر، فهكذا يكون المسلم مؤمناً بما في الدار الآخرة من عذابٍ ونعيم، ومستعداً للقاء الله تعالى، وعاملاً بما يرضي الله.

ثمّ يقول ـ رحمه الله ـ:

هذا اعتقاد الشافعيِّ ومالكٍ ... وأبي حنيفة ثمّ أحمد ينقلُ

فإن اتبعت سبيلهم فموفق ... وإن ابتدعت فما عليك معوّل

أي: هذا الاعتقاد اعتقاد الإمام الشافعي، الذي هو: محمد بن إدريس الشافعيُّ رحمه الله، واعتقاد مالك بن أنس، إمام دار الهجرة رحمه الله، وأبي حنيفة النعمان بن ثابتٍ رحمه الله، وكذلك الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله،

---

(١) أحمد ٤/٢٨٧، وأبوداود (٤٧٥٣)، والحاكم ١/٣٧.

(٢) مسلم (٥٨٨).

فهذا اعتقادهم، فإن اتبعتَ سبيلهم فإنك موفق، وتحشر معهم، وتكون من زمرتهم، ومن أتباعهم، وإن ابتدعتَ وخالفتهم فما عليك معوّلُ، ولست ممّن يقتدى به، ولا ممّن يكون من أهل السلامة والنجاة، هكذا بين ـ رحمه الله ـ في هذه العقيدة ـ عقيدة أهل السنّة والجماعة ـ وحثّ على اتباعهم، والاقتداء بهم، والله أعلم، وصلى الله على محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الخاتمة

قال الشيخ حفظه الله تعالى، وأمدّ في عمره على الخير :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه وبعد:

فمن العقائد المهمة أبياتٌ منسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ تتعلق بالعقيدة على قافية اللام، وقد طبعها الشيخ محمد بن مانع في رسالته التي تتعلق بالعقيدة والتوحيد، وكأنه جزم بأنها لشيخ الإسلام ابن تيمية، وقد أحببنا أن نشرحها شرحاً مبسّطاً، يسيراً؛ ليكون تعليقاً عليها، وبياناً لمدلولها، وقد تمّ الشرح والحمد لله، وكانت قراءة الأبيات بصوت الشيخ الدكتور: (طارق بن محمد الخويطر) وفقه الله، وهو الذي طلب شرحها، وسجله في أشرطة، وقد كان شرحها في عدّة وقفات، ولم يكن في حلقةٍ من الحلقات، ولم يقع ـ أيضاً ـ في مجلسٍ من المجالس، ولكن حصل شرحها في حالة تنقّل عند ركوب السيّارة، وتوجهنا إلى بعض الأماكن، نشرح منها أبياتاً، وكذلك ـ أيضاً ـ عند ركوب الطائرة في بعض الرحلات نشرح منها أبياتاً، ولم يزل كذلك إلى أن كملنا شرحها بحمد الله، ولم نحب التوسع في الشرح؛ وذلك لأجل تنبيه القارئ وتعريفه بقدرها، وقد شرحها قبلنا أحد الحنابلة، وهو المرداوي، وتوسع في شرحها، وأضاف إليها ـ أيضاً ـ الكلام على الشفاعة، وبيان القول فيها عند أهل السنة؛ لأن الأبيات لم تحتو على ما يتعلّق بالشفاعة، فلذلك اقتصرنا على هذا الشرح الموجز، وفيه كفايةٌ ـ إن شاء الله ـ لمن أراد معرفة ما تدلّ عليه هذه الأبيات، مع اختصارها وكثرة مدلولها، ولا شكّ أيضاً أنّ شيخ الإسلام

ـ رحمه الله ـ في هذه الأبيات أجمل بعض العقيدة، ولم يفصّل فيها كعادته، فأجمل آيات الصفات، في قوله:

وجميع آيات الصفات أمرُّها

يعني: أنّ القول فيها هو الإمرار، وكذلك غيره مما أجمله، ولكنّ الإجمال فيه كفايةٌ إن شاء الله، ونسأل الله أن ينفع بها، وأن يجزي شيخ الإسلام عن الأمة خير الجزاء، إنه على كلّ شيءٍ قدير، والله أعلم، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الموضــوع	الصفحة
مقدمة المحقق	٥
تقديم فضيلة الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين	٩
متن لامية شيخ الإسلام ابن تيمية	١٥
مقدمة الشرح	١٦
فضل الصحابة	١٨
العشرة المبشرون بالجنة	٢١
أفضل الصحابة	٢٢
عدالة الصحابة	٢٤
سبب طعن الرافضة في الصحابة	٢٤
إثبات صفة الكلام لله تعالى	٢٨
وجوب إثبات الصفات والتحذير من تأويلها	٣٠
مذهب أهل السنة في إثبات الصفات	٣٤
ذم من استدل بقول الأخطل	٣٩
إثبات رؤية المؤمنين لله تعالى	٤٢
إثبات صفة النزول لله تعالى	٤٤
الإيمان بالميزان والحوض	٤٥
صفة الميزان	٤٥
صفة الحوض	٤٧
ملخص صفة الحوض	٥٠
الإيمان بالصراط	٥١

الموضوع	الصفحة
صفة الصراط	٥١
الإيمان بالجنة والنار في الآخرة	٥٣
صفة النار	٥٣
صفة الجنة	٥٤
الإيمان بسؤال الميت في قبره	٥٥
اعتقاد الأئمة الأربعة	٥٦
الخاتمة	٥٩
الفهرس	٦١